

## مقالات باكون

باكون أشهر مشاهير فلاسفة الانكليز ، كان له تأثير كبير في عصره ، وهو يُعدُّ مؤسس الفلسفة الحديثة المبينة على الاختبار والاستقراء . وقد شاء صديقنا محمد لطفي جمعه الكاتب الالمعي والأصولي الضليع أن يتحف قرأء « الزهور » بمختارات من مقالات هذا الفيلسوف . واليك النبذة الأولى منها :

### ١ - أصحاب السلطة وأهل المكانة العالية

وإنَّا أناسٌ لا توسطَ بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبرُ  
إن من وليٍّ أمراً كبيراً يكون عبداً ذليلاً لثلاث : أُمته وصنعتُه  
وسمته . فيطيع وليُّ أمره طاعةً عمياء ، ويردعه صيته عما تميل إليه نفسه ،  
وتستغرق أعماله كل أوقاته . وأيُّ رجلٍ يشتري بحريته قوةً ، ويسعى  
لنيل الحول على غيره فيفقد سلطانه على نفسه ؟  
وان أحد الناس يجهد نفسه لينال سمعةً . وما السمعة إلا أم المتاعب ؛  
فقد يدفع حبها الرجل إلى اقتراف الذنوب ، فيصل إلى المكانة السامية  
بعد أن ينال شرفه الأذى

والسبيل إلى العلى غير ميسر ، والدرب إلى الصيت زلق لا تؤمن  
عاقبة السير عليه . وان من تزلُّ قدمه فقد هوى ، او عاد ذليلاً محسوراً .  
وأذكر قول شيشرون « اذا أفل نجمُ سعدك ، ووضعك سواد حظك  
وأمسيت وضعياً بعد ان كنت رفيعاً ، فخليقُ بك أن لا تعيش »  
واذا شاء من حصل على السلطة والسطوة أن يتخلى عنهما لا يستطيع

الى ذلك سبيلاً . فاذا استطاع ذلك قلّت رغبته في التخلي ولو اشابه كرم  
الغداة ومرّ العشي . ومثله كمثل العجوز من النساء ، فانها تفتأ تبرّج  
وتتزين كأنها تهزأ بالدهر والدهر منها هازئ

واذا تآقت نفوس ذوي الصيت والسمعة الى السعادة يوماً ، فيكفيهم  
أن يسمعوها ممن يتطلب مكاتبتهم ويسعى في الحصول على ما لهم من  
السطوة والسلطان . لأنه لا يحبّب الصيت للانسان سوى ان مثين من  
الناس يتمنون ولو يجتمع الأنف أن ينالوا مثاله  
ولو علم الناس بما يلاقيه أصحاب المكانة السامية من المتاعب ،  
لا اكتفوا بما لديهم . ولكن

لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيها  
وأحدنا أول من يشعر بهومومه ومتاعبه وآخر من يحسن بعيوبه ومثالبه  
وقد لا يستطيع من يقوم بشأن الناس أن يقوم بشأن نفسه ،  
فيكون أجهل الناس بحاله ويكون الناس أعرف به منه

وان المكانة السامية تمكن صاحبها من صنع الخير وعمل الشر .  
وخير ما ينجي من عمل الشر هو النية الصالحة وعدم القدرة على اتيانه .  
واما صنع الخير فهو أسمى المقاصد وخير ما تطمح له النفس الفاضلة . ومن  
كانت نيته صالحة فان له عند الله ثواباً وأجرأ . اما الناس فلا يؤمنون  
الا بما يرونه امامهم من الأعمال الصالحة . وليس في طاقة أحد الناس ان  
يصنع ما ينويه من خير ، الا اذا كان قادراً ذا سطوة ونفوذ . ولم يكن لله  
في خلق الانسان من غرض سوى أن يكون الانسان مخلوقاً خيراً ،

يعمل الخير ويقابل الخير بالخير . وليس يهدأ قلب الرجل في صدره ، إلا إذا صنع الخير أو نواه

وكن إذا وليت منصباً مقتدياً بمن سبقك اليه ممن كانوا مفلحين . ولا تنسَ أمر من أفسد قبلك لأن لك في أمره عبرة . وإذا رأيت خللاً في ما بين يديك من العمل فاجهد نفسك في إصلاحه ، ولا تعجب بنفسك ولا ترم من سبقك بالمجز والتقصير

ولا تعمل عملاً إلا إذا كان النظام رائدك ؛ ولا تكن متشبهاً في أمورك . ولا تخفِ أمراً لا يخشى على عملك من إفشائه

ولا تمكن أحداً من سلب حقوقك . ولا تدع غيرك ينال مما لك من النفوذ منالاً . وكن عليمًا بشؤون من وليت أمورهم ، وكن منهم بمثابة العقل المدبر من الجسم المطيع

ولا تحجب نفسك ممن له شكوى يثها . واسمع ما يبلغك من النصيح والارشاد واعلم ان كل كلمة تطرق اذنك لها تقع في الحال او في المال

وقد يجبر صاحب المنصب الرفيع على ذنوب يأتيها رغم اتفه . منها المهلة في انجاز الاعمال ، والتدني الى الرشوة ، والشدة واللين . ولئلا يتمكن منك حب المهلة في اداء ما يجب ، لا تحجب عنك من له شكوى يثها ، ولا تخلف ميعاداً ، ولا تبدأ بعمل قبل ان تفرغ مما قبله ، ولا تخرج أمرين لا علاقة للواحد بالآخر ان استطعت ذلك سبيلاً

ولأجل ان تكون ذا عفة اربط يديك وأيدي غيرك ممن يأثمرون

بأمرك برباط القناعة . وصر نفسك ومرهم بأن لا يقللوا من مقدار نفوسهم ليكثرُوا من قدر ثروتهم . وكن غليظاً شديداً على من يهيك هبة لتعمل له عملاً . وإذا كنت كاملاً عفوفاً فقد أمنت نفسك ومن يلوذ بك . ولا يرتدع من يحاول ان يرشوك إلا إذا أظهرت له الكمال والعفة ، وأيت عليه التمليق والاكرام

ولا تجعل لأحد سبيلاً يمكنه من اساءة الظن بك . فان الشك اول مراتب اليقين . ومن شك في أمانتك لا يلبث ان يؤمن بخيانتك واعلم ان من تناءى عن مشربه قد يحرك نفوس أهل الشر والعدوان فيرتابون من أمره . فاذا شئت ان تتحول عن مبدإ كنت به معروفاً ، فلا تدع الناس يقولون ما لا يعلمون ، ولا تخف عليهم من أمرك شيئاً . ولا تقرب اليك من هو أقل في المقدار فقد يظن أهل الشر انه واسطة في الشر وان المال يأتيك على يديه

واعلم ان الحدة والخشونة تولدان الكراهية والبغضاء . اما الصرامة والجفاء فتولدان الخوف والتبجيل . وكن اذا شئت ان تلوم من يستحق اللوم مهابة وقوراً ولا تكن قادحاً مهيناً . ولا تكن ليناً فتعصر فان اللين يورث الذل والهوان . ومن يسرف في تبجيل الناس فقد أودع نفسه في أيديهم أسيراً

وللشهرة تأثير في خلق الرجل . وكان أحد الحكماء يقول : إن أكابر الرجال صناديق مقفلة مفاتيحها الارتقاء الى ذروة المجد . فاذا بلغ أحدهم غايته ، فتح وبأن ما فيه ان خيراً فخير وان شراً فشر

وبلوغ ذروة المجد يصلح النفوس الخيرة ويفسد نفوس أهل الشر .  
وأنت ترى شبيه الشيء منجذباً إليه . فإن كانت نفس الرجل كريمة  
جذبها الخير ، وإن كانت شريرة جذبت إليها الشر . وليس للفضيلة  
الكامنة في النفوس مكان سوى المجد والشرف . ولذا ترى النفوس الكريمة  
وهي قبل أن تصل إلى ما تعلل به نفسها متقدمة مشتعلة ، فإذا بلغت أطلعت  
وسكنت إليه كما يسكن الطفل إلى صدر أمه

واعلم أن سبيل المجد وعرضه . فارتكن فيه إلى من يعضدك حتى تصل  
إلى غايتك ، فتستطيع أن تقف آمناً شر السقوط . وإذا جاء ذكر من  
سبقك فاذكره بالخير فإن في ذلك خيراً لك وله

وإذا كان لك رفاق في عملك ، فكن معهم رفيق الجانب ، لين الخلق  
حسن العشرة . ولا تأنف من أن تشاورهم في الأمور ، ولا تكن في كل  
حال مستقلاً برأيك . وإذا كنت مع قوم في حديث لا دخل له بعملك  
فاطرح العظمة جانباً وابدأ لهم كما يبدو الرجل الكريم

\*  
\* \*

## ٢ — جمال الوجوه

جمال الوجه مع قبج النفوس كقنديل على قبر الجوس  
إن النفوس الجميلة كالجواهر الكريمة ، لا يبدو بهاؤها إلا إذا  
رُصِّعت في قالب خلوي من التزيين والتحسين . وإن طلعة ترى فيها الهيبة  
والجلال خير من محيا ترى فيه البهاء والجمال

ولقد يندر ان ترى رجلاً ذا جمال فائق قد نال المكرمات وحاز الفضائل . وكأن الطبيعة شاءت ان يكون ذو الجمال خلواً من العيوب الظاهرة ، ولكنها لم تشأ ان يكون جميلاً كاملاً . ولذا أنت لا ترى بين أهل الجمال رجلاً ذا نفس كبيرة او عقل عظيم . وانهم يفضلون التأدب والاحتشام على السمو والعظمة . ويتمنى أحدهم ان يكون مكان الاجلال والاكرام . ولا يرجو ان يكون قابضاً على صولجان دولة الأقاليم

ولقد حفظ لنا التاريخ ذكر كثيرين ممن جمعوا بين جمال الوجوه وكرم النفوس . فقد كان القيصر اوغسطس قيصر الرومان أجمل أهل زمانه . وكان اليونان يفاخرون الأمم بجمال السيباديس . وكانت أمة الفرس تضرب بجمال سلطانها اسماعيل الأمثال

وليس لون الوجه وحسن تقاطيعه ورقة الانسان ورشاقتة تكفي لأن يكون جميلاً ؛ لأن الجمال معنى لا يستطيع التعبير عنه ، وليس في في قدرة المصور البارع ان يظهره في صورته . وقد لا يبدو ذلك المعنى إلا بطول المشاهدة

وليس الاحكام في الخلق جمالاً . وانك لا تجد الجمال النادر المثل إلا في شيء لم يبلغ فيه الاتقان حدّه

ولقد زعم (أبلس) المصور أنه يصور أبدع الوجوه اذا ما أضاف الى عيون المهى أنفًا كالسيوف أو أذقٍ وثغراً كالدرّ والمرجان وخطر ببال (ألبرت دورو) ان يخلق انساناً كامل الجمال اذا اعتمد في خلقه على التناسب في قياس الأعضاء

على ان مثل تلك الصورة لا تنال رضى غير مبدعها  
وليس من المحال ان بصور مصوّر وجهاً فيه من الجمال ما لم نره من  
قبل. على ان مثل ذلك الوجه لا تكون للفن او للصنعة فيه يد، انما يكون  
خالقه قد ألهم إلهاماً إلهياً كما يوحى الى الشاعر بالمعاني والى المغني بالأنغام  
وانك ترى وجوهاً ليس للإحكام فيها أثرٌ واذا نظرت اليها وجدت بها  
من الجمال ما لا تجده في سواها

وليس للشباب يد في الجمال . وان صدق قول القائلين بأن رشاقة  
الحركات أصل كل جمال لكانت المرأة البالغة من العمر عتياً أجمل من  
الفتاة اليافعة لأنها نالت من الرقة والرشاقة حظاً أوفر

وقد جاء في المثل السائر ان الشباب جمال وقد يحق ذلك القول على  
الشباب اذا عدّ جمالاً ، لأنه ستار للعيوب والجمال كشم الغيظ لا يلبث  
ان ينضج حتى يبلغه الفساد . وقد يكون الجمال والشباب مفسدة للمرء  
أي مفسدة

ولو كان الجميل فاضلاً بانت فضائله كالشمس التي تكامل ضوءها .  
ولو كان ناقصاً بدا نقصه كالنجم في السماء الصافية

نقله عن الانجليزية

محمد الطفي محمد المعامسى

